RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 3, May 2023

Received: 16/03/2023 **Accepted:** 13/04/2023 **Published:** 01/05/2023

THE COMMUNICATION MODELS THROUGH THE « HAMMAM'S SPHERE AMONG MOSTAGANEMIEN WOMEN.

Aissa Abdi NORIA [1]
Dr., Abdelhamid Ibn Badis University - Algeria

Abstract:
Through this study, we aim to highlight the communication models practiced in public spaces like "El-Hammam" as a public sphere which is a traditional popular bath very frequented by women in general, and to explore women's behavior through this sphere. After the survey we set two conditions for the sample study: The Hammam should be in an old neighborhood and its members have connections. The second one is that they have television in that sphere. The problematic of our research is based on the following: Do the Mostaganemien women use mass communication or personal communication in the "hammam" as a public sphere? to conclude with significant answers of our main question we also formulated the following hypothesis: The Mostaganemien women use mass communication more than personal communication in the "hammam" space. We have adopted a qualitative approach which is mainly aimed at studying a few individuals with the aim of counting words and behaviors. Af ter having conducted our research survey through the technique of direct observation followed by interviews and having analyzed them. The study revealed that most of the interviewed women spend between two and four hours in the Hammam, a good part of this time is devoted to discussion and therefore to personal communication. We have concluded that most of women are not interested in television placed in the hall "Hammam", but they prefer personal communication and the majority of them choose "Hammam" as a public space for entertainment and relaxation, but also to solve some social problems, particularly of the neighborhood. Personal communication is therefore the dominant model in this sphere, more even than time reserved for the general shower supposed to be the objective of their presence. Regarding the topics of discussion, a variety of topics are mentioned, namely cooking, sewing, education, politics, marriage and television series.

Key Words: Communication Models, Personal Communication, Mass Communication, Hammam Sphere, Mostaganemien Women.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.23.22

[1] aissa_noria@yahoo.fr

أنماط الاتصال في فضاء الحمام عند المرأة المستغانمية

عيسى عبدي نورية

د، جامعة عبد الحميد بن باديس - الجزائر

الملخص:

تتمحور دراستنا الميدانية في التعرف على أنماط الاتصال داخل فضاء الحمام، والكشف عن السلوك الاتصالي للمرأة المستغانمية داخل هذا الفضاء، فبعد الدراسة الاستطلاعية قمنا بوضع شروط لعينة الدراسة وهي: أن يكون الفضاء في حي قديم أي أفراده تجمعهم صلات، والشرط الثاني أن يتضمن الفضاء على جهاز تلفزيون، وببناء إشكالية البحث التالية: هل تتجه المرأة المستغانمية في فضاء الحمام إلى استخدام الاتصال الجماهيري أكثر من الاتصال الشخصي؟ كما قمنا بصياغة الفرضية التالية: تستخدم المرأة المستغانمية الاتصال الجماهيري أكثر من الاتصال الشخصي في فضاء الحمام. ومن المناهج التي انتهجنها في هذه الدراسة هو المنهج الكيفي، لأنه يهدف في الأساس إلى دراسة عدد قليل من الأفراد بهدف حصر الأقوال والسلوكات. وبعد القيام بالمقابلات والملاحظات وتحليلهما استنتجنا أن نصف المبحوثات تذهبن جماعة للحمام، من أجل الفضفضة أي ممارسة الاتصال الشخصي، تبين لنا أن جل المبحوثات تفضلن الفترة المسائية لتردد على الحمام. كشفت لنا الدراسة أيضاً أن أغلب المبحوثات تقضين ما بين ساعتين إلى أربع ساعات في الحمام هذه المدة تفوق مدة التنظيف، إذا نستنتج أن بقية المدة توظف للحديث وممارسة الاتصال الشخصي. من خلال استجواب المبحوثات اتضحت أن الأحاديث المتناولة في فضاء الحمام متنوعة بين الطبخ، الخياطة، التربية، السياسة، الزواج والمسلسلات، مخرجات هذه الأحاديث عن طريق وعاء الاتصال الشخصي، كشفت لنا الدراسة أن أغلب المبحوثات لا تشاهدن التلفزيون في بهو الحمام بل تفضلن الحديث الشخصي أكثر، كما تبين لنا من خلال الدراسة أن أغلب المبحوثات تذهبن للحمام من أجل الفضفضة، الاسترخاء، الاستجمام، ولحل بعض القضايا الاجتماعية. استنتجنا في الأخير أن المرأة المستغانمية تستخدم الاتصال الشخصي أكثر من الاتصال الجماهيري وهذا عكس ما افترضناه.

الكلمات المفتاحية: أنماط الاتصال، الاتصال الشخصي، الاتصال الجماهيري، فضاء الحمام، المرأة المستغانمية.

مقدمة:

ارتبط فضاء الحمام عند المرأة المستغانمية بطقوس وعادات تتنوع أشكالها ودلالتها باختلاف وظيفتها، تستمر هذه الطقوس والعادات على امتداد السنة "حمام التشعبينة، تحميمة العيد ...."، كما تشمل تقريباً كل المناسبات المستغانمية "حمام العزوبية، "الترويح"*، "حمام دخول المولود الجديد". يعد فضاء الحمام بالنسبة للمرأة المستغانمية فضاء لعرض الملابس والحلي والتباهي "بلوازم الحمام"، "المقامة تاع الحمام"، كما أنه فضاء للفضفضة والترويح عن النفس-وخاصة بالنسبة للمرأة التي لا يسمح لها بالخروج-، ولقاء صديقاتها حيث تذهب المرأة إلى الحمام لتبادل أطراف الحديث حول مستجدات الأسبوع، وداخل هذا الفضاء يتم أيضاً الفصل في عدة أمور أساسية كاختيار الزوجة، وبيع وشراء الأثاث وحتى المنازل، فرغم تغير الأوضاع بخروج المرأة للدراسة والعمل وعدم حاجتها لاستعمال الحمام كحجة لمغادرة البيت، غير أن هذا الفضاء لا يزال يحافظ على خصوصيته القديمة في استقطاب العنصر اللطيف باعتباره أشبه بمقهى أو صحيفة للتبادل والإطلاع على أخبار الآخرين أو عيادة نفسية توفر حصص مجانية للبوح للتخفيف من الضغوطات التي تفرضها متاعب الحياة اليومية، فهناك من يفسر هذا بأن المرأة غائبة عن الفضاء العمومي لهذا فهي تحاول أن تنتج هذا الفضاء في شكله الخاص حيث تغيب الرقابة من طرف الرجل فهي سيدة هذا الفضاء الحميمي الذي يعوضها عن الغياب والحرمان من الفضاء العام فيصبح الحمام بذلك فضاء لتحقيق الذات. يعد الاتصال الشخصي هو القناة الأساسية في هذا الفضاء لكن في السنوات الأخيرة ظهر نمط آخر من الاتصال وهو الاتصال الجماهيري يتمظهر هذا الأخير في وجود شاشة تلفزيون في بهو الحمام، هذا النمط انعكس على السلوك الاتصالي عند المرأة المستغانمية حيث أصبحت تتجه لمشاهدة التلفزيون في بهو الحمام، حاولنا من خلال هذه الفكرة التي استنتجناها من الدراسة الاستطلاعية طرح التساؤل التالي، هل تتجه المرأة المستغانمية في فضاء الحمام إلى استخدام الاتصال الجماهيري أكثر من الاتصال الشخصي؟ وللإجابة على هذا التساؤل صغنا الفرضية التالية: تستخدم المرأة المستغانمية الاتصال الجماهيري أكثر من الاتصال الشخصي في فضاء الحمام. ومن الدراسات السابقة التي اعتمدناها: دراسة تحليلية للمؤلف عمر كارلي تناولت الرهانات الاجتماعية للجسد، الحمام المغربي تطرق من خلاله إلى البراديغم الإسلامي، وإلى حيوية الحمام متوسطياً وفتور مشرقي، وتعمق في موضوع المدينة والحمام والخدمات التي يقدمها، وركز على عنصر التمييز الاجتماعي وتقسيم الجنسيين وقد اعتبرنا هذه الدراسة كأرضية معرفية قوية انطلقنا منها وخاصة أنها تناولت موضوع الحمام المغاربي ، تقريباً نفس العينة إلا أن موضوعنا ينطلق من دراسة ميدانية، ومن تحليل كيفي لنسق صغير من أجل الخروج بنتائج عميقة. ومن الأهداف التي نصبو للوصول إليها هي: التعرف على أنماط الاتصال داخل فضاء الحمام، الكشف عن السلوك الاتصالي للمرأة المستغانمية في فضاء الحمام، وحتى نصبو إلى هذه الأهداف اعتمدنا على المنهج الكيفي متبعين في ذلك تقنية المقابلة.

* حمام العروس بعد أسبوع الأول من زواجها.

1. تحديد المفاهيم:

1-1 أنماط الاتصال: يتخذ الاتصال عدة أشكال منها ما هو مباشر كالاتصال الشخصي، الاتصال بالجماعات الصغيرة، الاتصال الجمعي، ومنها ما هو غير مباشر الاتصال الشخصي بمساعدة التقنية، الاتصال الجماهيري... (الرحمن، 2011، صفحة ص20)

التعريف الإجرائي لأنماط الاتصال: هو الاتصال الشخصي الذي يحدث في فضاء الحمام سواءً في بهو الحمام، أو في غرفة التنظيف، ونقصد به كذلك الاتصال الجماهيري وهو مشاهدة المرأة التلفزيون في بهو الحمام.

2-1 الاتصال الشخصي: الاتصال الذي يحدث بين شخصين أو أكثر في شكل علاقات اجتماعية يتضمن هذا الاتصال كل عناصر الاتصال وأهمها الحضور الشخصي للمرسل والمتلقي، وعليه يعتبر أكثر أنواع الاتصال تأثيرا وفعالية، يبدأ هذا الاتصال بالجماعة الثنائية ثم يتطور في الجماعة الثلاثة والرباعية وهكذا. (الرحمن، 2011، صفحة ص18)

التعريف الإجرائي للاتصال الشخصي: نقصد به اتصال فرد بفرد أو مجموعة محددة جداً من الأفراد في فضاء الحمام.

3-1 الاتصال الجماهيري: هو عملية يوجه عن طريقها الاتصال في وقت واحد إلى مجموعة واسعة وغير متجانسة من الناس وبشكل جماهيري، وبالتالي فإن أي وسيلة يمكن استخدمها في هذا الغرض تعتبر وسيلة اتصال جماهيرية. (عتران، 2016، صفحة 24)

التعريف الإجرائي للاتصال الجماهيري: هو الاتصال الذي يبث عبر وسيلة التلفزيون في فضاء الحمام.

4-1 فضاء الحمام (تعريف إجرائي): هو فضاء اجتماعي، يلجأ إليه الأفراد لتنظيف الجسد، لكن وظائف هذا الفضاء تجاوزت توفير إمكانيات النظافة الجسدية الى خلق نسيج متكامل من القيم والعادات التي نشأت على هامش تردد الإنسان عليها.

2. المنهجية المتبعة

1.2 المنهج المتبع:

بحثنا كغيره من البحوث يهدف إلى التعمق في المعارف ودخل ضمن البحوث الكيفية التي عبارة عن عملية جمع المعطيات غير قابلة للقياس، سار بحثنا هذا وفق المنهج الكيفي لأنه ينمي المعارف حول موضوع ما، "فهو يهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة عن طريق دراسة عدد قليل من الأفراد بهدف حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها". (أنجرس، 2004، صفحة 100)

2.2 التقنية المتبعة:

تقنية البحث التي استعملناها هي المقابلة (انظر الملحق رقم 01) والتي تدخل ضمن البحوث الكيفية وهي تقنية مباشرة تستخدم من أجل استكشاف الحوافز العميقة للأفراد واكتشاف الأسباب المشتركة لسلوكهم من خلال خصوصية كل حالة، أما بالنسبة لاختيار هاته التقنية فذلك راجع لكونها تسمح لنا بدراسة معمقة لكل وحدة من وحدات العينة، كما اتبعنا تقنية الملاحظة فهي تقنية مباشرة للتقصي تستعمل عادة في مشاهدة مجموعة ما.

3.2 مجتمع البحث والعينة:

تمثل مجتمع بحثنا في جميع الحمامات المتواجدة في ولاية مستغانم، أما العينة فقد اخترنا المعاينة الغير احتمالية عينة قصدية، تمثلت في اختيار فضائيين للحمام، وقد راعينا في اختيار العينة فضاء داخل مدينة مستغانم حيث تواجد هذا الحمام في حي 5 جويلية*، والفضاء الثاني اختير خارج المدينة في دائرة حاسي ماماش**، ومن شروط اختيار العينة أن يكون الفضاء في حي قديم أي أفراده تجمعهم صلات، والشرط الثاني أن يتضمن الفضاء على جهاز تلفزيون، أما عن اختيار أفراد العينة فقد اعتمدنا على معاينة عرضية، حيث كان عددهن 10 (موظفات، ماكثات في البيت، طالبات، عاملات بالحمام، كما شملت العينة مختلف الفئات العمرية.)

3. التحليل الكيفي للدراسة

3.1 فضاء الحمام في الجزائر

"إن الحمامات التقليدية بالجزائر على غرار الكثير من الدول العربية، شكلت لزمن واجهات حضارية عكست أسلوب عيش و تحضر و اهتمام الناس بنظافتهم بشكل من أشكال الوعي البشري بقيمة نظافة الجسد، و إن كانت وظائف ذلك الفضاء تجاوزت توفير إمكانيات النظافة الجسدية إلى خلق نسيج متكامل من القيم و العادات التي نشأت على هامش تردّد الإنسان عليها، حيث باتت جزء مهما في تراث الكثير من المدن و إرث مجتمع اعتبر نظافة الجسد عملية معقدة تحتاج إلى مهارات لا يمكن توفيرها بالبيوت، فأنشأوا فضاءات خاصة لها منحوها جاذبية اجتماعية و معمارية لا يمكن إغفالها، حيث جمعت الحمامات بين مكان للنزهة و الترويح عن النفس و الاسترخاء و حجر زاوية في كثير من المناسبات البهيجة من أفراح زفاف و إنجاب و احتفاء بحلول مناسبات دينية.. رسخت طقوسها في أذهان الصغار والكبار وباتت مع الوقت تقليد يحرص الكثيرون على ممارسته ولو مرة في الأسبوع." (ب، 2018)

* يقع هذا الحي في شمال مدينة مستغانم.
** تقع دائرة مستغانم جنوب غرب ولاية مستغانم.

" كما أنها بمثابة فضاء التقاء وتجارة ومكان للبوح أضفى عليه جمال وسحر الهندسة المعمارية التي أبدع الأولون في تجسيدها وحوّلوا الكثير منها إلى تحفة معمارية فنية رصعوا جدرانها بالزخارف والزليج وبلاطها بالرخام وجعلوا لبعضها قبابا وزينوا مداخلها بنوافير المياه البديعة وجعلوا بداخلها غرفاً مقسمة بإحكام تهيئ الراغب في الاستحمام لمراحل عدة بطقوس تختلف مما يطلق عليها البيت "الباردة" إلى "السخونة". (ب، 2018)

2.3 تحليل البيانات:

المحور الأول: الاتصال الشخصي في فضاء الحمام.

1.2.3 المرافقة للحمام

-هل تأتي للحمام لوحدك أم مع الصديقات أو الجيران أو العائلة؟

صرحت نصف المبحوثات أنهن يذهبن للحمام جماعة مع صديقاتهن وجيرانهن وعائلتهن حيث تقول المبحوثة (فاطمة، 65 سنة، ماكثة في البيت) [نَّرُوحُو جَمَاعَة، نَّجِي مَعَ عَرُوسْتِي وَمَعَ بَنْتِي.] وهناك من صرحن بأنهن يذهبن بمفردهن إلى فضاء الحمام من بين المبحوثات (سمية، 27 سنة، موظفة) [نَرُوحْ لِوَحْدِي].

-الترجمة:

«نذهب جماعة، مع كنتي وبنتي»

«أذهب لوحدي»

-التحليل:

من خلال إجابة المبحوثات اتضح لنا أن هناك من يفضلن الذهاب جماعة إلى فضاء الحمام وذلك لتبادل أطراف الحديث، حيث يشكل الحمام للمرأة فرصة ثمينة لممارسة حريتها أولا، ولقاء صديقاتها ثانياً خصوصاً في بعض الأوساط التي يقتصر فيها خروج النساء للذهاب إلى الحمام. كما صرحن بعض النساء أنهن يفضلن الذهاب بمفردهن إلى هذا الفضاء وذلك كون أنها تفضل الذهاب لوحدها حتى لا تتحدث مع أي واحد، بفعل ضغوطات العمل.

2.2.3 الفترة المفضلة لتردد على فضاء الحمام.

-ماهي الفترة التي تفضيلها في زيارة الحمام؟ (الصباح، ظهراً، مساءً)

أجابت جل المبحوثات بأنهن يفضلن الفترة المسائية وذلك بعد الانتهاء من الأعمال المنزلية وأنها فترة مناسبة للالتقاء مع صديقاتهن وهذا ما صرحت (سلطانة، 52 سنة، عاملة) [نَبْغِي رُوحْ مُورْ الفَطُورْ كِينْ كيمَلْ قَّضْيَانْ صَبَاحْ ونتلقى مع حبَابَتِي]

-الترجمة:

«أحب ذهاب ظهراً عند انتهاء من أعمال المنزلية صباح والالتقاء مع صديقاتي. »

-التحليل:

تترسخ فكرة الخروج ظهراً بالنسبة للمرأة المستغانمية في المخيال الاجتماعي الثقافي، ذلك أن فترة صباحية مخصصة للأعمال المنزلية، فالتي تخرج صباحا يعني أنها مهملة لأشغال بيتها، لكن هذا كلام لا يمس شريحة "العجايز" التي لها بنت كبيرة أو كنة، أما فترة الليل فهي فترة مخصصة لرجال -ماعدا في موسم رمضان-، فخروج المرأة المستغانمية ليلا يمس سمعتها. "كانت النساء ترتدن الحمام خلال النهار والرجال في المساء،" (خاطر، 2017، صفحة 87)

هناك من صرحن أنهن يفضلن ليلاً منها (إيمان، 23 سنة، طالبة) [نَجِي في لِيلْ تساعدني]

-الترجمة:

«أفضل الذهاب إلى حمام مساءً، لأنه يساعدني.»

-التحليل

لاحظنا أن نظرة المجتمع المستغانمي لفكرة خروج المرأة في المساء بدأت تتغير، وذلك بفعل ضغوطات العمل والدراسة، حيث أصبحت فترة المساء متنفس للمرأة المستغانمية خاصة العاملة والطالبة، كما لاحظنا أن هناك من تفضلن الذهاب صباح هذا ما صرحت به (فاطمة، 65 سنة، ماكثة في البيت) [صَبَاحْ خِيْر، مَانَبغِيشْ حَمَامْ لِيلْ]

-الترجمة:

«يعتبر صباح أحسن، لا أفضل ذهاب إلى الحمام مساءً.»

التحليل:

لمسنا تباين في الأجوبة وهذا يرجع لعامل السن والحاجة فبعض النسوة يفضلن صباح حتى يستمتعن بالنشاط والحيوية بعدها تتغذى وتتمتع بقيلولة مسائية، أغلب هذه النساء تعشن في العائلة الكبيرة، يذهبن أغلبهن أو فئة منهن ويتركن واحدة منهن تحضر لهن الغذاء وهذا ما صرحت به احدى المبحوثات "نَخَلي الكَنَة دِيرْ الفَطُورْ"، أما إذا كانت من أسرة نووية، فتحضر غذاءها في الليل.

3.2.3 الزمن المستهلك في فضاء الحمام.

- كم من ساعة تقضيها في الحمام؟

أجابت جل المبحوثات أنهن يقضين ساعتين في فضاء الحمام حيث صرحت (أمينة، 22 سنة، طالبة) [نقعد زوج سوايع]

-الترجمة:

«أقضي ساعتين»

- التحليل:

نلاحظ بأن هذا الزمن يفوق الزمن المخصص لنظافة وهذا يدل على أن هدف النساء لا يكمن في النظافة فقط بل لهن أهداف أخرى، كما صرحن العاملات في فضاء الحمام بأن هناك نساء من تقضين من ثلاث ساعات إلى أربع ساعات وهذا يدل مرة أخرى على أن أهداف النساء في الحمام تتعدى تنظيف الجسد. " يرتاد الرجال الحمام مرة أو مرتين في الأسبوع، ويمضون فيها نصف ساعة أو ساعة بعد الاستحمام قبل ارتداء الملابس لمغادرة الحمام، بالنسبة للنساء الأمر مختلف بعض الشيء نظراً لندرة خروج النساء خارج البيت، فالنساء الميسورات هن لا يخرجن إلا لزيارة الأهل والأصدقاء وإلى الحمام، وتختلف الغاية والأهداف من زيارة الحمام، ورغم أن ارتياد النساء للحمام قد لا يكون بشكل دوري أو أسبوعي، غير أنهم يقضون وقتاً أطول في الاستحمام من الرجال" (خاطر، 2017، صفحة 88)

4.2.3 أحاديث فضاء الحمام؟

- ماهي الأحاديث التي تتناولينها داخل فضاء الحمام؟

كانت إجابة المبحوثات مختلفة حول المواضيع المطروحة في فضاء الحمام، هناك من تفضل الأحاديث الطبخ والخياطة، والبعض منهن تتحدث عن أمور الأولاد والتعليم، وهناك من تخوض في أحاديث العائلة، البعض منهن تتناقل أحاديث الخطبة والزواج والطلاق، والبعض منهن تتطرق إلى مواضيع غلاء المعيشة، وهذا ما صرحت به قابضة الحمام (منصورية،45 سنة، قابضة الحمام) [نساء يَهْدرُوا على كل شيء بُولِتيكْ، زواج، طلاق، طبخ، مسلسلات]

-الترجمة:

«تتحدث النساء عن كل شيء، سياسة، زواج، طلاق، طبخ، مسلسلات»

-التحليل:

نلاحظ أن النساء يعتبرن الحمام فضاءهن فيتحدثن فيه عن كل شيء وهو فضاء لكسب معلومات من خارج، فوظيفة هذا الفضاء تتعدى نظافة الجسد يستعملن الحمام كوسيلة وحجة لمغادرة البيت والتحرّر للحظات من القيود المفروضة عليهن بالبيت، مما جعل من ذلك المكان فضاء للترويح عن النفس والتفاعل الاجتماعي والثقافي، ففيه يتم الإعداد للزواج حيث تبحث الأمهات عن امرأة لزواج ملائم للعائلة، أين يتم فحص الفتيات عن كثب دون علمهن أو بعلمهن فمراقبة الأجساد تصبح مباحة، في مثل هذه المنشآت التي تسمح باستعراضها دون حرج." ففي الحمام، يتم حسب العادة، الإعداد للزواج، حيث ينجز بوصفه شعيرة من شعائر العبور، ففي الحمام تبحث الأمهات عن امرأة لأبنائهم، وعن زواج ملائم للعائلة، حيث يتم فحص الفتيات عن كثب، دون علمهن بذلك، وحيث يتعرضن للمراقبة والملاحظة في أجسادهن وحركاتهن ويختبرن في سلوكهن، فالحمام هو نوع من الوكالة للتزويج." (كاريبي، 2014، صفحة 111،112)

ورغم تغيّر الأوضاع بخروج المرأة للدراسة والعمل وعدم حاجتها لاستعمال الحمام كحجة لمغادرة البيت، "غير أن هذا الفضاء لا زال يحافظ على خصوصيته القديمة في استقطاب العنصر اللطيف باعتباره أشبه بمقهى أو صحيفة للتبادل والإطلاع على أخبار الآخرين أو عيادة نفسية توّفر حصص مجانية للبوح للتخفيف من الضغوطات التي تفرضها متاعب الحياة اليومية، وحتى لو اختارت المرأة عزل نفسها وعدم الاحتكاك بغيرها فإن الحمام التقليدي بفراغاته الكثيرة يمنحها تلك الفرصة، التي تبقى سر تفضيل الكثيرين للحمامات الشعبية عن العصرية." (ب، 2018)

5.2.3 الشعائر وطقوس فضاء الحمام

- ماهي المناسبات التي تحيينها في فضاء الحمام؟

أجابت جل المبحوثات بأنهن تحي مناسبات في فضاء الحمام منها التشعبينة وهي ذهاب إلى الحمام قبل رمضان، ذهاب ليلة قبل عيد الفطر وقبل يوم عرفات، إحياء مناسبات حمام العزوبية، ذهاب العروسة قبل موعد زفاف، وحمام العروسة أو ما يصطلح عليه بالترويح، إحياء مناسبة دخول المولود لأول مرة لحمام، ذهاب النفساء إلى الحمام كلها مناسبات تقضيها المرأة المستغانمية في فضاء الحمام، حيث صرحت (زهرة، 59سنة، عاملة في الحمام) [مناسبات حمام صغير، الترويح، نديروا زغاريد وشمع]

-الترجمة:

«المناسبات التي نحييها حمام المولود، حمام العروسة، بلزغاريد والشموع.»

-التحليل:

ارتبط فضاء الحمام عند المرأة بطقوس وعادات تتنوع وتختلف في أشكالها ودلالتها باختلاف وظيفة الحمام، والغاية من الاستحمام بين الغسل والفرجة والتباهي، ونقف عند بعض هذه العادات المترسخة في مجتمعنا، تستمد هذه الطقوس والعادات على امتداد السنة مشروعيتها واختلافها ومصداقيتها من اختلاف وتنوع المناسبات الدينية والتراثية والاجتماعية، حتى أضحت تقريباً كل مناسبة متميزة بطقوس وعادات تناسبها وتنسجم معها.

" يعتبر الحمام فضاء للاحتفال والفرجة، فأثناء الزفاف مثلاً، كان أهل تلمسان ولا يزالون يحتفلون بدخول العروس الحمام " يوم الحناء" كما تسمى محلياً مع جمع غفير من صديقاتها وقريباتها، الأمر نفسه من الاحتفال والاستحمام كان يصاحب ذهاب المرأة النفساء بعد مرور أربعين يوماً عن الولادة إلى الحمام، أين يحتفل بها أيضاً، وتبقى الكثير من الطقوس تحافظ على نمطيتها ويعاد انتاجها إلى اليوم. (بوشمة، 2014، صفحة 150)

" أحد المظاهر الاجتماعية الأخرى المصاحبة لنشاط الحمام هو ارتباطه بالاحتفاليات كميلاد الطفل والزواج." (شهيب، 2014، صفحة 45)

محور الثاني: الاتصال الجماهيري في فضاء الحمام

6.2.3 مشاهدة التلفيزيون

-هل تشاهدن التلفيزيون في بهو الحمام؟

صرحت أغلب المبحوثات أنهن لا يشاهدن التليفزيون في بهو الحمام، وأنهن يفضلن الحديث الحميمي على مشاهدة التلفزيون هذا ما صرحت به (فايزة، 32 سنة، ماكثة في بيت) [نَهْدَّرْ مَعَ عَجُوزْتِي، مَا نَشُوفَشْ تَلفِيزْيُونْ]

-الترجمة:

«نتكلم مع عجوزتي، ولا أشاهد التلفزيون. »

هناك من صرحت أنها لا تشاهد التليفزيون حتى في بيت (فاطمة، 65 سنة، ماكثة في البيت)، [أنا في دار مانتفرجوش.]

-الترجمة:

«أنا في المنزل ولا أشاهده. »

صرحت مبحوثة أنها تشاهد التلفزيون فقط في انتظار الزوج لاصطحابها من أجل مرور الوقت (فتيحة 42سنة، ماكثة في البيت) [نَشُوفُو بَرْكْ، مِنْ نَقَارَعْ رَاجْلِي].

-الترجمة:

«أشاهده فقط، عندما أنتظر زوجي. »

كما صرحت مبحوثة واحدة فقط أنها تشاهد التلفزيون في بعض الأحيان، (ايمان، 23 سنة، طالبة) [خطرات نتفرج سميرة.].

-الترجمة:

«في بعض الأحيان أتفرج قناة سميرة*. »

-التحليل:

اتضح لنا أن النساء لا يفضلن مشاهدة التلفزيون داخل فضاء الحمام، فالاتصال الشخصي مازال طاغياً في هذا الفضاء، فرغم فعالية الاتصال الجماهيري وولوجه إلى عوالمنا إلا أنه لم يخترق فضاء الحمام الذي مازال محافظ على خصوصيته الاتصالية. " يعتبر فضاء الحمام فضاء للتواصل حيث يدعم تجارة الخيرات وتبادل الأخبار." (خاطر، 2017، صفحة 102) " في الحمام، تنتشر عادة الأخبار بشكل كبير وممتاز بين النساء، سواءً تعلق الأمر بمدينة فاس، أو تونس أو الجزائر، فإن الحمام هو مكان للكلمة بامتياز، فهو مثل المقبرة أو قبر الولي، إذ يشكل مبرراً للخروج من المنزل ومثل رصيف المقهى، فإنه يبيح الحديث، كما يمنح الحمام للنساء إمكانية العيش بينهن خارج إطار جمعة القرابة وعلاقة الحي، ولكن بشدة وبشكل متواتر خلافاً لأماكن الجمعة الأنثوية الأخرى، وفي ظل هذا المجتمع حيث تبني علاقة بين كيانين، أي وجها لوجه، فإنه يعزز التعارف المتبادل، ويسهل الشفافية، وأيضاً يضمن نقل المعرفة التي تملكها الزمرة عن نفسها، يملك الحمام علاقة وطيدة مع القصص العائلية مثلما يملك صلة قوية مع ما يحدث في الحي." (كاريبي، 2014، صفحة 112)

* هي قناة تلفزيونية عربية جزائرية، مختصة بتقديم محتوى عن فنون الطبخ والخياطة.

" بمعنى آخر فإن الحمام يمثل مقهى للنساء، وصحيفتهم، بسبب أنه فرصة للتعليق على الآخرين، وحتى على أخبار العالم ومع ذلك فإن الحديث عن الحياة العائلية يهيمن على الكلام في هذا المكان.....إلا أن اللقاء في الحمام، خارج الإطار العائلي، بسهم بدرجة كبرى في بناء نوع من الجماعة الخصوصية ذات الطابع الأنثوي." (كاريبي، 2014، صفحة 113،112)

7.2.3 خلفيات ذهاب إلى الحمام.

- هل هناك أسباب أخرى تدفعك لتردد على فضاء الحمام غير النظافة؟

جل المبحوثات أجابت بأنها تذهب إلى حمام من أجل الاسترخاء، التحدث، اختيار العروس، للشفاء، حيث صرحت المبحوثة (سلطانة، 52 سنة، عاملة) [مِنْ نَكُونْ مَغْمُومَةَ نَدِيرْ فَالِزْتِي وَنْرُوحْ للحمام.]

-ترجمة:

«عندما أكون مهمومة أحضر حقيبتي وأتوجه إلى الحمام. »

-التحليل:

لفضاء الحمام أدواراً أخرى غير نظافة الجسد، حيث يعتبر فضاء للفضفضة، والاسترخاء، والاستجمام، ولترويح عن النفس من متاعب الحياة، ففضاء الحمام يعد مقصداً شعبياً بمزايا خاصة يجد فيه قاصده ملاذاً للتخلص من متاعبه الجسدية وضغوطاته النفسية ومكاناً للاغتسال والتطهر، بل تعدى ذلك ليتحوّل إلى مبنى أو مقر استشفائي يقصده الكثير من المرضى، ونادياً مصغراً يلتقي فيه الأحبّة لتجاذب أطراف الحديث والترفيه عن الذات، ومما يؤكد نجاحه هو استمرار وجود الحمامات وحفاظها على مظهرها لحد الآن.

"فالحمام بقدر ما هو فضاء للتطهير الفيزيولوجي، فإنه أيضاً يحيل إلى نوع من التطهير السيكولوجي بما يمنحه من إمكانية للاسترخاء والتفرغ للجسد والعناية به، كما تقول الباحثة المغربية خلود السباعي، فهو مبني لخدمة وتحقيق متعة الجسد ومكان للالتذاذ، وفي نفس الوقت تحقيق تناغم نفسي للذات، ومن ثمة يوفر الحمام فرصتين الأولى تخص الاغتسال الجسدي أما الثانية فتوفر الاغتسال العقلي."

(بوشمة، 2014، صفحة 147)

4. نتائج الدراسة:

- اتضح لنا من خلال الدراسة أن نصف المبحوثات يذهبن جماعة للحمام، من أجل الفضفضة أي ممارسة الاتصال الشخصي، هذه النتيجة جاءت معاكسة لما افترضناه

- تبين لنا أن جل المبحوثات يفضلن الفترة المسائية لتردد على الحمام.

- كشفت لنا الدراسة أن أغلب المبحوثات يقضين ما بين ساعتين إلى أربع ساعات في الحمام، هذه المدة تفوق مدة التنظيف، إذا نستنتج أن بقية المدة توظف للحديث وممارسة الاتصال الشخصي. هذه النتيجة جاءت معاكسة لما افترضناه

- من خلال استجواب المبحوثات اتضح لنا أن الأحاديث المتناولة في فضاء الحمام متنوعة بين الطبخ، الخياطة، التربية، السياسة، الزواج والمسلسلات. مخرجات هذه الأحاديث عن طريق وعاء الاتصال الشخصي هذه النتيجة جاءت معاكسة لما افترضناه

- المناسبات التي تحييها المرأة المستغانمية في فضاء الحمام هي التشعبينة، الترويح، تحميمة العيد، تحميمة المولود الأول، تحميمة النفساء. إذن الاتصال الشخصي هو الطاغي في هذا الفضاء هذه النتيجة جاءت معاكسة لما افترضناه

- كشفت لنا الدراسة أن أغلب المبحوثات لا يشاهدن التلفزيون في بهو الحمام بل تفضلن الحديث الشخصي أكثر. هذه النتيجة جاءت معاكسة لما افترضناه

- تبين لنا من خلال الدراسة أن أغلب المبحوثات يذهبن للحمام من أجل الفضفضة، الاسترخاء، الاستجمام، ولحل بعض القضايا الاجتماعية. وهذه النتيجة توصل إليها الباحث عمر كارليي في بحثه عن الحمام المغاربي.

- استنتجنا في الأخير أن المرأة المستغانمية تستخدم الاتصال الشخصي أكثر من الاتصال الجماهيري في فضاء الحمام إذن الفرضية لم تتحقق، وعليه فإن الدراسة المستقبلية تنطلق من فرضية الاتصال الشخصي كمتغير مستقل في التأثير على المرأة المستغانمية في فضاء الحمام. سنحاول في الدراسة القادمة دراسة مضامين الاتصال الشخصي والوقوف على عنصر القادة في العملية الاقناعية داخل فضاء الحمام معتمدين على نظرية تدفق على مرحلتين لزاسفيلد.

- ومن الاقتراحات التي نصبو إليها من خلال هذه الدراسة هي: الاهتمام بمواضيع انثروبولوجيا الاتصال هي مواضيع مهمة لفهم سلوكياتنا اليومية، منه بناء استراتيجيات اتصالية اقناعية لتحليل سلوكياتنا الاتصالية داخل المجتمع.

- التركيز على الدراسات ذات الأنساق الصغرى فيما يخص نمط الاتصال الشخصي هذا راجع لكونها تسمح لنا بدراسة معمقة لكل وحدة من وحدات العينة.

الخاتمة

لقد ارتبط تاريخ مستغانم ومجتمعها بالحمام، حيث يعد الحمام في هذا المجتمع فضاء للنظافة، الطهارة، الاسترخاء، الفضفضة، مصدر للأخبار وممارسة لشعائر الثقافية، خاصة بالنسبة للمرأة التي تعتبره فضاء للاستعراض الملابس والحلي ولوازم التنظيف، فضاء لمراقبة الجسد، فضاء للحوار والنقاش والحميمية.

فمن خلال هذه الدراسة التي حاولنا فيها معرفة أنماط الاتصال داخل فضاء الحمام والكشف عن السلوك الاتصالي للمرأة المستغانمية في هذا الفضاء اتضح لنا من خلال تحليل المقابلات أن الاتصال الشخصي هو الاتصال الطاغي في هذا الفضاء كون هذا الأخير يعتبر ملجأ نسوي حميمي حيث تتحدثن فيه النسوة بكل حرية وارتياح بعيداً عن الهيمنة الذكورية، وتتبادلن فيه كل أطراف الحديث بيع شراء، زواج، أخبار الحي، الجنس، الطبخ، ظروف العمل، قضايا العائلية.

استنتجنا في الأخير أن فضاء الحمام هو فضاء للفضفضة الأنثوية بعيداً عن السلطة الذكورية فبرغم من التطور التكنولوجي وولوجه إلى العوالم المختلفة إلا أنه لم يخترق بعد فضاء الحمام الذي يطغى عليه الاتصال الشخصي، سوف نتطرق في دراسة مستقبلية إلى تحليل الأحاديث الشخصية والجمعية في هذا الفضاء والتركيز على عنصر تأثير القادة في هذا الفضاء.

قائمة المراجع

الكتب

عتران محمد. (2016). مهارات الاتصال. [ب، ط]. القاهرة. دار النهضة العربية.

عزي عبد الرحمن. (2011). المصطلحات الحديثة في الإعلام والاتصال.ط1.تونس.دار المتوسطية.

موريس أنجرس. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. تر: بوزيد صحراوي وآخرون. [ب، ط]. الجزائر. دار القصبة للنشر.

المجلات العلمية

أبو خاطر رولى رفعت. (2014). الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية، دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية. مجلة انسانيات. عدد 63-64. 67-96.

بوشمه الهادي. (2014). الحمام الشعبي بتلمسان. مجلة انسانيات. عدد 63-64. 143-166.

شهيب دينا كمال الدين. (2014). الطلب على "الحمام" في مصر المعاصرة. مجلة انسانيات. عدد 63-64. 39-66.

كارليي عمر(2014). الرهانات الاجتماعية للجسد، الحمام المغاربي (في القرنين التاسع عشر والعشرين) بين الدوام والزوال أو الإحياء. مجلة انسانيات.عدد 63-64. 97-142.

الوابوغرافيا

الحمامات ...فضاء للحرية ولرأب الفجوة بين المقدس والمدنس

ttps://www.annasronline.com/index.php?option=com_content&view=article&id=29560

تاريخ المعاينة 2022/08/07 على الساعة 15:56.